الازدواج اللغوي:

هو أن يستعمل المرء في خطابه العادي واليومي لغة تختلف عن اللغة التي يستعملها في الإطار الرسمي، أي تختلف في الجوانب الصوتية والتركيبية والمعجمية، والدلالية على نحو ما نجد في اللغة العربية.

والازدواج اللغوي ليس جديدًا على الواقع الإنساني، والدليل أنه كان يستعمل إلى جانب الفصحى مجموعة من اللهجات.

ويعرفها اللساني الأمريكي شارل فرغيسون بقوله: "الازدواجية اللغويـة وضـع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللّهجات الرئيسة للّغة (التي قد تشمل علـى لهجـة واحدة أو لهجات إقليمية متعددة). إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثـر تعقيـدا مـن قواعـد اللهجات وهذه اللغة بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم، سواء كـان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق أم إلى جماعة حضارية أخرى، ويتّم تعلـم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية، ولكن يستعملها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتيادية.

والازدواج اللغوي في نظر "عبد الرحمن بن محمد القعود" هو وجود مستويين في اللغة العربية: مستوى الفصيحة، ومستوى الدارجة، أو مقابلاتها مثل العامية واللهجة (في مفهوم بعضهم مع أن الأفضل تخصيص مصطلح اللهجة لما يتعلق بالنطق)، وما يتضمنه هذا المفهوم من تباعد بل صراع في بعض المجالات والأذهان.

ويمكن تعريف الازدواجية إجرائيًا بأنها الاستعمال المزدوج للعامية والفصحى، إذ تستعمل العامية في الحياة اليومية، والفصحى في الحياة الرسمية، فالازدواجية تختلف باختلاف العلوم، ففي علم اللغة النفسي هي "أن يجيد المرء لغتين معًا إجادة تامة، لغة الأهل ولغة أخرى، وقد يكتسبهما معًا، وقد يكتسب لغة الأهل أوَّلاً".

فالازدواجية اللغوية هي ذلك التعدد والاختلاف للسان الواحد، معنى ذلك أنه يكون مستويين لغويين للسان الواحد، الأول فصيح يستعمل في التعليم والإدارات والملتقيات والسياسة، وآخر عامي يستخدم في الشوارع والمحادثات اليومية.

ومما يدلنا على أن الازدواج اللغوي كان موجودًا ، قول النبي المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: ((أنزل القرآن على سبعة أحرف)).

والازدواج اللغوي شكل خطورة كبيرة على لغتنا الأم، وبالتالي شكلت اللغة الثانية (العامية) خطورة كبيرة جدًا على القرآن الكريم، فقد راح القراء يقرؤون القرآن بلهجاتهم الأمر الذي أخرج اللغة عن الأمر المعتمد المنطوق، يضاف أيضًا أن العامية استشرى وجودها فامتدت أظفارها، إلى الدوائر الرسمية، لتحيل النطق باللغة العربية الفصحى إلى مجالات محددة فقط، بعد أن كانت هي كل ما ينطق وأروع ما ينطق.

ومن مواقف الازدواج اللغوي أن يستعمل الإنسان نمطين من التعبير في الموقف الواحد.

ولعل من أبرز الأسباب التي أدت إلى ظهور الازدواج اللغوي هو الانعزال بين القبائل، والاحتكاك بالقبائل الأجنبية، والتوسع الجغرافي وما خلفه .

ومن أبرز آثار الازدواج اللغوي، الابتعاد عن القرآن الكريم وتردي أوضاع الأمة، فتأثير الازدواج على اللغة الأدبية الفصيحة أكبر من تأثيره على اللغة العامية، كما أنه (الازدواج اللغوي) ضعف رابطة التواصل بين الأمة وتراثها العريق، وبالتالي ضعف في الحركة الثقافية، فضلا عن أن الإنسان عندما يستعمل العامية تؤدي إلى انخفاض كبير في مستواه اللغوي، نظرًا لشح المفردات في العامية، ويضطر لاستعمال نمطين في التعبير.

إن الازدواج اللغوي يجعل الأمة مقيدة بقيود التبعية المقيتة، فنهوض أي أمة يتطلب أن تتوافر فيها مجموعة من العوامل، ولعل اللغة الفصيحة والأصل هي من أهم هده العوامل، وغيابها يعني اختفاء ركيزة أساسية من ركائز التقدم والنهوض والاستقلالية.

من هنا فظاهرة الازدواج اللغوي هي خطر يتربص بنا وبهويتنا العربية، فلنحث الخطى لنجد الدواء ونداوي جراحنا، قبل فوات الأوان، والحل هو دراسة الموضوع بكل الوسائل المتاحة، ومشكلة الازدواج اللغوي لا يمكن أن تحل بسهولة كما يظن البعض بإصدار قرار ينفد وإنما الأمر يحتاج أن نعمل كل ما بجهدنا ونستغل ما تقدمه التقنية لنا، لنعود حينها إلى تألقنا الذي أضعناه على حين غفلة .

نشأة الازدواجية بوصفها اصطلاحا:

يعتقد أن الألماني "كارل كرمباخر" كان أول من تحدث عن الازدواجية اللغوية عام م1902م، لكن الفرنسي "وليم مارسين" هو الذي وضع بالفرنسية سنة 1930 مصطلح الازدواجية la Diglossia))، وعرفه بأنه الصراع بين لغة أدبية مكتوبة وأخرى عامية شائعة، ويظهر المصطلح بشكلين مختلفين من الاستعمال اللغوي للسان نفسه، يبدو الأول معقدا ومحدود الاستعمال، فيما الأخر بسيط وشائع الاستعمال، وقد أطلق على الأول اللسان الفصيح والآخر اللسان العامي.

خصائص ازدواجية اللغة:

من الخصائص والمميزات الواجب توافرها في لغة مجتمع ما كي يتم اعتبار هذا الوضع اللغوي صالحًا لوصفه بازدواجية اللغة، وقد أورد فرغيسون في بحثه الخصائص أوالصفات التالية:

1. الوظيفة function:

يعتبر فرغيسون ومعظم الذين اتبعوه في دراسة ظاهرة ازدواجية اللغة أن الوظيفة التي يؤديها الشكل اللغوي من أهم خصائص هذه الظاهرة، فهناك بعض المناسبات أو الأوضاع الاجتماعية التي تُحتّم استعمال اللهجة العليا، نحو اللهجة العربية الفصحى في مثاله عن اللغة العربية، بينما هناك بعض الأوضاع التي يكون استعمال اللهجة الدنيا، كاللهجة المصرية المتحدثة في القاهرة ضرورة حتمية؛ وهذا الاختلاف في الوظيفة يحدث في كل المجتمعات وباختلاف أفراد المجتمع، فلا نستطيع استعمال لهجة متدنية في مقام رفيع، فكل مكان أو مناسبة ما علينا أن نستعمل اللهجة المناسبة لها، نحو: المناسبات الدينية مثلا نستعمل المستوى اللغوي الأعلى، أما التحدث مع شخص ما في الشارع نستعمل المستوى اللغوي الأدبي كالعامية.

2. المنزلة prestige:

الخاصية الثانية من خصائص ازدواجية اللغة هي المنزلة فاللهجة العليا يعتبرها جميع أفراد المجتمع لهجة عالية المستوى، ولا يقارن مستواها بمستوى اللهجة الدنيا، هذا الاحترام العميق أو المقام العالي الذي تتمتع به اللهجة العليا قد يقود بعض أفراد المجتمع إلى إنكار وجود اللهجة الدنيا؛ فتطور اللغة العربية وما بلغته من مكانة رفيعة في وسط أفراد المجتمع أمر طبيعي مثل باقي اللغات الأخرى، فمنزلة العربية الفصحى تجعلها في أعلى المراتب عكس اللهجة العامية والتي تعتبر إنحرافا لغويا عن الفصحى.

" التراث الأدبي: literary hertage

في جميع الحالات الدراسية التي ذكرها فرجسون، دائمًا ما يتمتع الشكل الأعلى من اللغة بتراث أدبي أكبر من التراث الأدبي الذي تحظى به اللهجة الدنيا؛ إلا أن هناك من أفراد المجتمع من يرى أن التراث الأدبي للهجة الدنيا كالعامية يمثل أدبًا حقيقياً كالأدب الشعبي وما يحويه من ألغاز وأمثال وحكم ونكت…الخ، فهو جدير بالدراسة والتحليل.

" الاكتساب Acquisition:

يقصد بالاكتساب هنا الوسيلة التي يتم عن طريقها اكتساب اللغة كلغة أم، بحيث يرى فرغسون أن البالغين يستعملون اللهجة العامية أو المحلية (المستوى اللغوي الأدنى) عندما يتحدثون مع أطفالهم، فضلا عن أن الأطفال يستعملون هذا المستوى اللغوي عندما يتحدثون فيما بينهم؛ فالمستوى اللغوي الأدنى أو العامية تكتسب سريعًا باعتبارها لغة الحوار اليومي، في حين تصبح الفصحى ثقيلة نوعًا ما عند البعض باعتبارها لغة الحوار داخل المؤسسات التعليمية فقط.

" الثبات stability:

تعتبر ظاهرة ازدواجية اللغة وضعًا لغويًا ثابتًا من الممكن استمراره لمئات الأعوام، وفي بعض الحالات قد يصل عمر هذا الثبات إلى ألف عام، فخاصية الثبات تصف وضع اللغة العربية وصفًا جيدًا ولكن هذه الازدواجية لا تلبث أن يستبدل بها بظهور شكل جديد أقل ثباتا ومعايرة، ويكون وسطا بين الشكلين اللغويين.

" القواعد النحوية: Grammair

عندما نذكر كلمة (القواعد) فإن أول ما يتبادر إلى أذهاننا قواعد اللغة العربية أو النحو، والذي لا يشمل الصرف والتراكيب الصوتية وما إليه، ففي مجتمع ازدواجية اللغة يكون هناك اختلاف كبير بين التراكيب النحوية في المستويين اللغويين الأعلى والأدنى، فالمستوى اللغوي الأدنى يفتقر إلى نظام الموافقة بين الأسماء والأفعال التي تتبعها، وهذه الموافقة تكون معدومة تماما في الشكل اللغوي الأدنى، أو قد يكون وجودها على درجة أقل بمراحل من وجودها في الشكل اللغوي الأعلى.

مما سبق ذكره من الخصائص التي تميز الازدواجية اللغوية يبقى دائما تفاوت وإن كان بالقدر القليل بين اللغة العربية ذات المستوى العال، واللغة الدنيا (اللهجة) ذات المستوى المتدني، وتعدّ في نظر بعض الأشخاص انحطاطا عن العربية الفصحى.

مشكلات ازدواجية اللغة:

تعرف الازدواجية اللغوية بتعدد اللغات عند الفرد الواحد أو عند المجتمع، وقد يؤثر هذا التعدد أو الازدواج اللغوي في مختلف القطاعات وخاصة قطاع التربية، وقد يستعمل أفراد المجتمع عدة مسميات للرجوع إلى أحد الأشكال اللغوية التي عادة ما تحمل أسماء معينة تميزها في المجتمع، وهذا ما يؤيده المتحمسون للغة العربية الفصحى، ومن المشكلات التي نبعت من الازدواجية اللغوية وخصوصا:

" مشكلات تعليم اللغة العربية للعرب والأجانب .

" مشكلات الترجمة والتعريب في العصر التقني الحديث.

" مشكلات اللغة في وسائل الإعلام ( الإذاعة، التلفاز، الصحافة ).

" مشكلات الحوار في الأدب المسرحي والروائي والقصصي، وهناك من قال أن المستوى اللغوي الأدنى في التعليم له فوائد عديدة كما أنه أقرب إلى تفكير أفراد المجتمع ومشاعرهم منها على سبيل المثال عدم الحاجة إلى تعليم الأطفال مستوى لغويا، فالشكل الأدنى للغة يسهل عملية الفهم للمتعلم ولا سيما في قطاع التربية والتعليم، لكن إذا ما استمر هذا الشكل المتدني من اللغة وبقي المتعلم يتحدث به داخل القسم فسوف يعود بالسلب على المتعلم.

فالازدواج سبب رئيس في تصدع النبتة الثقافية لأمتنا، وهو المسؤول عن هذا التبديد القاتل لكل الجهود التربوية، إنه عدو لكل تطور فكري أو حضاري.

1. التسليم بالازدواجية.

2. التوحد، ويعني اعتماد الفصحى فقط، أو العامية فقط، أو لغة أخرى أجنبية.

3. التقريب بين العامية والفصحى.